قصبة الجزائر
اندثار نسيج حضري أم اندثار هوية حضرية؟

السيدة/ وداش ضاوية

قسم علم الاجتماع

جامعة الجزائر (02)

Résumé :

parlez de la casbah ، c'est parler d'une perle culturelle et un noyau urbain qui possédait un riche patrimoine matériel ، lié a son tissu urbain ، et immatériel reflétant la vie urbaine et citadine de ces habitants à travers ses traditions et savoirs faires notamment ses pratiques sociales et culturelles que l'ont toujours distinguées.

c'est grâce à cette spécificité qu'on vient d'évoquer que la casbah à réussi a crée une harmonie socio spatiale : « c'est le type idéal de l'urbanisme »selon « le Corbusier » mais malheureusement au fil du temps ،et avec toutes les rudes

الملخص:

الحديث عن القصبة ،حديث عن جوهرة حضارية ونواة حضرية والتي لطالما زخرت بتراث مادي ارتبط بنسيجها العمراني،وكذا بتراث معنوي عكس الحياة الحضرية والمدنية لسكانها، وهذا لما حوته من عادات وتقاليد وممارسات ثقافية واجتماعية قمة في الخصوصية جعلاها تحقق تناغما اجتماعيا ومجاليا لا مثيل له ،فقد كان كما وصفها المهندس المعماري "لكوربوزي" النموذج المثالي للعمران، لكن وللأسف بتوالي السنين والظروف القاسية التي شهدتها سوءا الطبيعية منها كالزلازل، والسياسية المتمثلة في همجية الاستعمار، وكذا الاجتماعية المتمثلة في النزوح الريفي،

circonstances qu'elle a subi ، naturels tels que les tremblements de terre ، politiques liées à la brutalité de la colonisation ،sociales liées à l'exode rural ، en effet ،la majorité de son tissu urbain s'est transformé en ruines ، et ces ruelles se sont transformées en décharges publiques ، les anciens citadins se sont substitués par des arrivistes incapables de préserver leurs vie non plus leur patrimoine ?c'est pour cela ،j'ai essayé de mettre la lumière sur cet aspect afin de mettre en exergue l'impact de la dégradation du tissu urbain de la casbah sur la disparition de ses pratiques socio culturelles qui ont toujours contribué dans la constitution de l'identité urbaine de ces habitants .	فقدت لؤلؤة الجزائر بريقها ، وأضحى أغلب نسيجها العمراني أشبه منه للأطلال، وتحولت أزقتها الى مقالب للنفايات ولأر دام المنازل، واستبدل سكانها الحضريين بنازحين مهمشين عاجزين عن الحفاظ على حياتهم، ناهيك عن الحفاظ على تراثهم المادي والمعنوي، من أجل هذا أردت تسليط الضوء على هذا الجانب،لأوضح أثر تدهور النسيج العمراني للقصبة في اندثار الممارسات الاجتماعية والثقافية للقصبة، والتي لطالما ساهمت في بناء وتكوين الهوية الحضرية لأفرادها.

الكلمات المفتاحية : القصبة، النسيج الحضري، التراث، الممارسات الثقافية، الدويرات.

مقدمة :

إن النسيج العمراني لأي مدينة هو ليس فقط مجرد سلسلة مبان ومنشآت حيوية تلبي حاجيات الفرد المادية فحسب، بل هو على حد تعبير "**مارتن هيدغز**" "فضاء يختزن الزمن بكل مايحمله من رموز وعادات" ومرآة عاكسة للمجتمع الذي شيده وسكنه أثر وتأثر به وبصمته الخالدة التي تدل على هويته وثقافته وانتماءاته وقناعاته الفكرية فاندثاره أو اندثار جزء منه هو اندثار لذاكرته الحضارية والحضرية وقطيعة لتاريخه وتراثه المتجذر عبر الأزمنة والعصور.خصوصا إذا ما تعلق الأمر بنسيج قصبة الجزائر الذي جسد معالم المدينة الاسلامية بكامل أركانها من قصر الداي والمسجد والسوق[1] وجعل منها مركزا لرقي الفنون وللإشعاع الحضري، وأكسبها سمعة ومكانة مرموقة بين المدن، وكذا لما حققه ساكنوها من تناغم اجتماعي بطباعهم المدنية وتكافلهم فيما بينهم وتناغم مجالي عن طريق استهلاكهم الحضري لمساحة سكناتهم وتعاملهم الراقي مع المجال المبني ككل، ماجعلها آلية لبناء الهوية الحضرية للقاطنين بها و الوافدين اليها . لكن بمرور السنين وتوالي مختلف الأزمات على هاته المدينة تراجع دورها و تقهقر مع تدهور نسيجها العمراني والحضري ،لهذا أردت تسليط الضوء على واقع نسيجها العمراني وتأثيره على سيرورة واستمرارية تلك الممارسات الثقافية والمدنية المكونة للهوية الحضرية لساكنيها.

أولا : القصبة

لغة تعني "القلعة"التي بنيت في أعلى الجبل، اصطلاحا هي المدينة التاريخية وهذا حسب تعريف« PAGAND » للمدينة التاريخية بحيث تحتوي على مقر سلطة وتعرف من الخارج عن طريق أبوابها وأسوارها [2] وشبهت بالقلعة لأنها محصنة أمنيا ببنائها على ربوة يزيد ارتفاعها عن 100 م مشرفة على البحر، وقد

بنيت القصبة بأيدي جزائرية لكن بقرار عثماني، أين شرع ببنائها سنة 1516م على يد "عروج" بدلا عن قصبة "بلكين بن زيري" التي أنشأت سنة 950 م، لهذا نلاحظ انه كانت قصبتان في مدينة الجزائر: قصبة بلكين بن زيري وقصبة عروج [3] والقصبة التي بنيت آنذاك غير القصبة التي نعرفها اليوم، حيث تهدمت معظم منازلها في زلزال 1716م [4] واتخذت بعد ذلك الشكل الذي نعرفه اليوم الملتصق المتراص فيما بينه ليلائم الانحدارات الطبيعية ،فهي تظهر للعيان على شكل مثلث به بنايات من القمة الى الأسفل (البحر)، تتخلل هاته المنازل طرق ضيقة وملتوية، مع وجود مباني ذات شرفات عثمانية الشكل من الجهة العليا للقصبة ومبان بشرفات غربية الهندسة بناها الاستعمار الفرنسي أسفل القصبة كواجهة يخفي بها مدينة الجزائر القديمة.

وقد عرفت القصبة بالنواة الأساسية أو الأم لمدينة الجزائر فقد احتوت على المعالم الأساسية للمدينة: المسجد، قصر الداي والسوق الكبير، كما انقسم المجال الحضري قبل الاحتلال الفرنسي إلى قسمين يفصلان الحياة الداخلية عن الحياة العامة فالحياة الداخلية حياة عائلية لها بعدان المسكن والحي، كما كانت المنطقة العليا(الجبل) تسكنها عائلات مغاربية وهي أحياء سكنية بتجهيزات قليلة جدا ، حيث تدل تشكيلتها الداخلية على وجود العلاقات الجوارية وكذا علاقات القرابة بشكل أكبر بين السكان.

كما نلاحظ أن وظيفة الحي تقتصر على الدخول إلى داخل المساكن فقط ، أما المكان العام فيقع في المدينة المنخفضة في الجزء السفلي وهو مجال التجارة والتبادل ومختلف الوظائف ، وكان يحتوي هذا الجزء على قصر الجنينة ، السوق الكبير، المساجد الكبرى للمدينة ، أحياء القناصل، ومنازل الرياس، وهذا الجزء ما يزال مركز المدينة الشعبي في الجزائر العاصمة، أما بشأن نظامها الحضري فقد كان مميزا ونابعا من المجتمع نفسه إذ عرف كيف يحافظ على هويته، الشيء الذي انعكس تماما على كل مجالات الحياة الاجتماعية الداخلية والخارجية والذي زاد من تطوره وازدهاره، أين عرفت

الجزائر أوج فترات الرقي والمدنية بفضل تنظيمها ونظامها الحضري الذي استطاع أن يخلق تجانس مجالي واجتماعي.

لكن باحتلال الجزائر، غير الاستعمار الفرنسي النظام الحضري السائد بشكل عنيف، متجاهلا حضارتها وهدم جزئها السفلي وأعاد بناء منازل ذات طابع غربي لاتمت بصلة للجزء العلوي للقصبة أين عرف تهميشا لامثيل له مقارنة بالمدينة الاستعمارية الحديثة، وكان الهدف من وراء ذلك افراغ المدينة من سكانها وإعادة احتلالها بالشكل المناسب لهم [5].

بعد التشويه المعماري الحضري الذي تعرضت له القصبة خلال هذه الفترة، عرفت القصبة بعد الاستقلال قطيعة أخرى متمثلة في التغيير الذي طرأ على التشكيلة السكانية بها، أين ترك سكان القصبة منازلهم متوجهين إلى المدينة الحديثة بحثا على الرفاهية إلى ضواحي باب الواد وباب عزون وغيرها...[6] وأجروا منازلهم للنازحين الجدد من الأرياف الذين لا يعرفون شيء عن كيفية استهلاك مجال القصبة الذي لطالما استلزم ملقنين لثقافة التعامل معه وفق هندسته خصوصا إذا علمنا انه استطاع أن ينتج ممارسات حضرية ومدنية قمة في الرقي، والتي تجسدت في كيفية تسيير أمورهم اليومية وتعاملاتهم مع الآخر وكذا من خلال عاداتهم وتقاليدهم في الاحتفال بالمناسبات والأعياد.

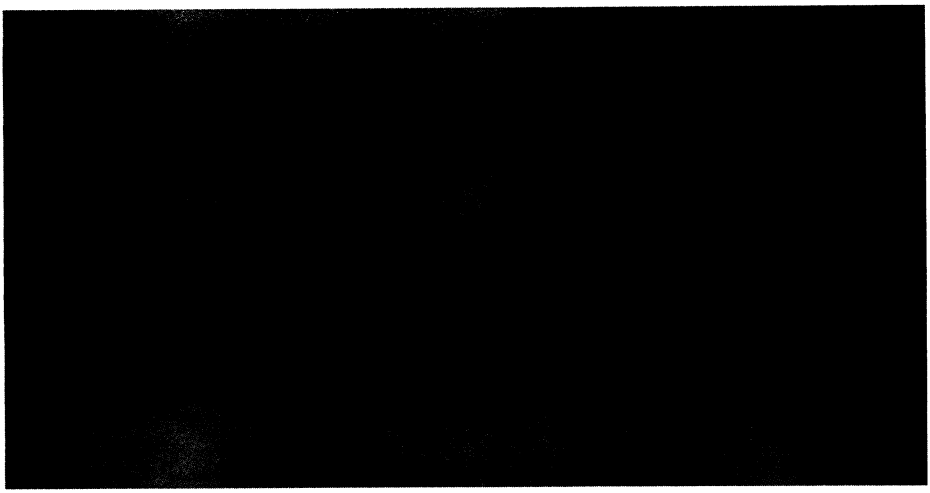

ثانيا: منازل القصبة

إن المتأمل في بيوت القصبة يلاحظ أن هيكلة بيوتها ومبانيها من الخارج تبدو متشابهة لتحقيق الاستمرارية البصرية والتناغم المجالي الاجتماعي، فقد كانت هادفة الى الحفاظ على قيم وعادات سكانها، فمجالها يبدأ من العام الى الخاص،أي من الطريق الى "الزنقة" الى "الدرب"، بحيث تكون أزقتها ملتوية اجتنابا للشمس وتوفيرا للبرودة الى كل جوانبها وتنتهي بدروبimpasses حفاظا على خصوصية المجال [7]، أما من الناحية الجمالية فتلك الإلتواءات والأقواس تضفي على المكان عنصر التشويق لاكتشاف الزائر ما الذي سيراه أو يمكن أن يكون بعد نهايتها، وهذا إن دل فإنه يدل على التوافق المعماري ومناخ القصبة، واجهات المنازل مغلقة، وإذا كان بها نوافذ تكون عالية عن الطريق و بشباك صغير قصد التهوية والإنارة علو المنازل يكون بطابق سفلي + طابقين أو ثلاثة ونادرا ما يكون هذا، أبواب منازلها من خشب ومؤطرة بالرخام ولا تكون متقابلة بل متفاوتة نوعا ما لقدسية وحرمة الجوار، لم يكن هناك نظام الإنارة العمومية بالمدينة بل كانت تعتمد على نظام شروق وغروب الشمس، بحيث كانت بها أبواب خمسة تفتح بشروق الشمس وتغلق بغروبها ولا يسمح للمتأخرين بدخول إليها وهي : باب عزون شرقا، باب الواد غربا، باب الجزيرة شمالا وسمي أيضا باب الجهاد، باب الديوانة ويقع في الناحية الشمالية الشرقية وباب الجديد جنوبا، كما أنها كانت تغلق وقت صلاة الجمعة تحسبا لأي هجوم مباغث، ماجعلها تنعم بالأمن والطمأنينة رغم كل الهجمات التي تعرضت لها أين أطلق عليها اسم "المحروسة".

تنقسم منازلها الى ثلاثة أنواع :

النوع الأول" المنزل ذو الفناء أو" **وسط الدار**" :إذا كان صغيرا يسمى "دويرة " واذاكان كبيرا يسمى "القصر" يكون محاطا بأروقة مقنطرة تحملها أعمدة والتي تحتوي على الحجرات التي تكون مفتوحة على وسط الدار الذي يعبر عن مجال للتواصل بين ساكنيه ومكان للقيام بعدة أنشطة وكذا به

تواصل مع الطبيعة باعتباره مفتوح، وهو أكثر البيوت شيوعا بالقصبة ويكون متفاوت الأحجام .

أما النوع الثاني فيدعى "**منزل الشباك**"، وهو منزل صغير نوعا ما ينتظم حول وسط الدار ،ويكون سقفه مغطى بواسطة هذا الشباك الذي به فتحات تسمح بدخول الضوء والهواء، وتكون كذلك حجراته بها هاته الفتحات ذات الشكل الهندسي إما مثلث أو مربع، غرفها مفتوحة على بعضها البعض عبر رواق يحيط وسط الدار يربط بين مختلف وحداته الأساسية (المطبخ والحمام والسلالم)[8].

النوع الثالث هو "**المنزل العلوي**" والعلوي بالعامية تعني العالي أي أن السكن بالأعلى، والذي يكون بدون فناء أو وسط الدار ويتم التنقل به الى الأعلى عبر أدراج أوسلالم ويختلف عن سابقيه في كون الطابق الأرضي مخصص للتجارة أو تجهيزات أخرى والذي يعتبر أصغر المساكن حجما بينهم.

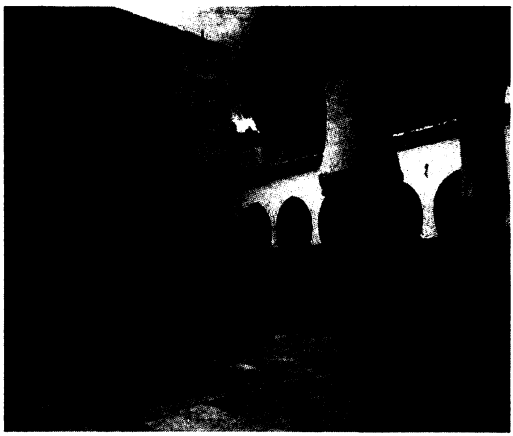

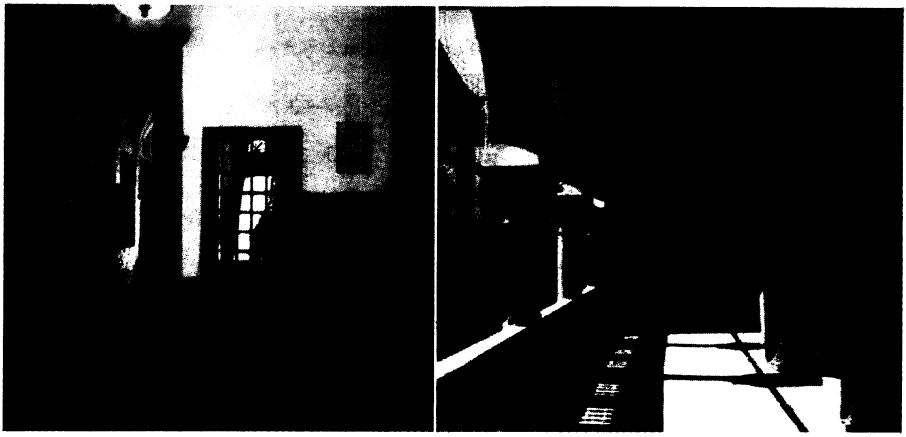

ثالثا : بعض العناصر المكونة للبيت التقليدي:

تتميز بيوت القصبة عن غيرها كونها تحتوي على بعض التجهيزات أو العناصر التي تؤكد لنا أن الذين صمموها كانوا قد فكروا في أدق التفاصيل، فنجد مثلا :

• وسط الدار وهو مركز المنزل مفتوح على السماء لتكريس قاعدة التوحيد لدى المسلمين (في علاقة العبد بربه)، وعلى الطبيعة ليعطي شعورا بالاسترخاء، وعلى كافة الغرف ليشعر بالحرية، خصوصا للمرأة بكونها ماكثة بالبيت.[9]

• السقيفة هي مساحة صغيرة تكون في المدخل، مكان انتظار الغرباء، حاجز بين الوسط الداخلي والخارجي إذ يدل حجمها على مكانة أصحاب البيت فكلما كبرت وازداد عدد مقاعدها كلما دل على رفاهية ساكنيه وهو تجسيد فعلي لخلق الحياء إذ حتى ولو فتح باب المنزل على مصراعيه لايمكن رؤية ما بداخل البيت. [10]

• السطح: وهو فضاء واسع ومفتوح، يطل على البحر، مخصص للنساء عموما وهو مكان لتواصل الجيران بينهم وحتى التنقل من سطح بيت لآخر لالتصاقها ببعضها البعض بدل اللجوء الى الشارع.

• القبة أو القبو: وهو مكان مجوف بآخر الغرفة مغطى بقبة أو بخشبة منمقة بزخارف يكون حجمه وفق مساحة البيت ويخصص للزيارات الحميمية أو للقيام بمختلف الصنائع التي تتطلب التركيز والدقة.

• البرطوس : وهو حيز مكاني يستعمل للخزن، ويكون غائرا في جوف الجدران مغلقا بأبواب خشبية ويتموقع بين الممرات والسلالم.

أما طريقة الولوج الى داخل المنزل فتكون على مراحل، فنجد مايسمى ب "الدريبة" وهو الحيز الخارجي للباب وعندما يفتح لنا باب المنزل نجد "السقيفة" وهنا ننتظر حتى يسمح لنا بالدخول، ثم ننتقل الى "وسط الدار" وهو عبارة عن فناء كبير، يحوي غرفة الاستقبال والمطبخ أو "الخيامة"، وغرفة المؤونة أو "العولة" وكذا بيت الصابون وهو مكان لغسل الملابس القريب من الجب الذي تتجمع به مياه الأمطار بالسطح ويتم وضع تصريف لها لتستعمل فيما بعد للتنظيف، كما نجد البئر الذي به مياه صالحة للشرب، ثم ننتقل الى الطابق الأول والثاني والثالث عبر أدراج معدودة لنجد بها غرف المنزل ولها المخطط نفسه في كافة الطوابق، أنه في الطابق الأول الحجرات تدعى ب "بالبيوت"، وفي الثاني تدعى ب "الغرف"، أما في الثالث فتدعى ب" المنازه"، وفي الجزء الأخير نجد السطح الذي يعطي لنا منظر مذهل لخليج الجزائر وهو مجال للالتقاء النسوي للتسلية وكذا للقيام ببعض النشاطات المنزلية ، يعتبر مجال وسط الدار والسطح مجال جماعي يسمح للنسوة بالالتقاء لتبادل الخبرات وتلقين الفنون والصنائع التقليدية الحضرية، كما كانت تقام الأفراح والمناسبات.

أما خارج المنزل فقد كان للحي أو "الحومة" رمزية كبيرة لدى سكانه، وهو مجال ذكوري، ووعاء يصب فيه سكان الحي اهتماماتهم وانشغالاتهم ويسهرون على حل مشاكله ،فقد احتوى على نظام ضبط تحكمه قيم ومعايير اجتماعية وحضرية تنظم لهم علاقات الجوار بينهم وكذا كيفية التعامل مع الغريب، أين تكفل كل الحقوق وتحدد كل الواجبات بها، كما اعتبر الجار بمثابة الأخ الاجتماعي لجاره يعرف تفاصيل حياته يؤازره وقت الشدة وينوبه أثناء

الغياب، وهذا بالنسبة للوظيفة الاجتماعية والحضرية للحي ،أما بالنسبة للوظيفة الاقتصادية الداخلية له فقد احتوت الأحياء على صابات أو "زنيقات" لكل صابة حرفة معينة وحرفيوها وأمينا على كل للحرفة فكانت زنيقة النحاسين، زنيقة الصائغين، وزنيقة الدباغين[11] ...الخ

رابعا : حالة نسيجها العمراني والحضري

يمكن أن نلخص حالة بنايات القصبة في هذه الأرقام التي تحصلنا عليها من المركز الوطني للأبحاث المطبقة في العمران، لحصيلة 2007 المحينة سنة 2011 وهذا في إطار المخطط الدائم حفظ واستصلاح القطاع المحفوظ لقصبة الجزائرPPSMVSSC والتي تكفلت به وزارة الثقافة، والتي زودتنا بالمعطيات التي تخص حالة الإطار المبني للقصبة على مستوى 2189 parcelles قطعة، أين سجلت 83% منها بنايات باقية و17% بنايات فارغة، وعلى مستوى 1816 بناية باقية 30 % منها في حالة جد متقدمة من التدهور ،50% في حالة متوسطة من التدهور ، و10 % منها في حالة انهيار تام، 10 % هي بنايات مغلقة[12] .

المصدر:المركز الوطني للدراسات والأبحاث
المطبقة في العمران
PPSMVSS Casbah CNERAU

بالإضافة إلى تسجيل عدة ملاحظات لخصت فيما يلي :

- أغلب البنايات التي هي في حالة متقدمة من التدهور ومنهار ة وفارغة ، تقع في الأحياء ذات النسيج التقليدي، أما الباقي فيقع في النسيج المختلط .
- أغلب البنايات التي هي في حالة متوسطة تقع في النسيج الكولونيالي.
- أغلب الملاك وجدنا أن حالة سكناتهم جيدة لاهتمامهم بها وصيانتها.

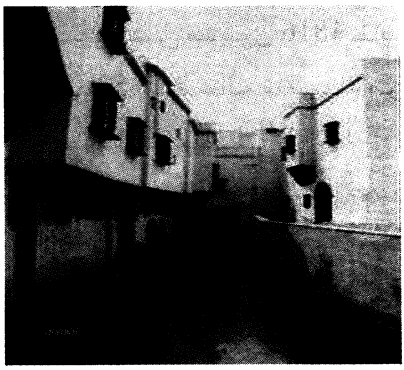

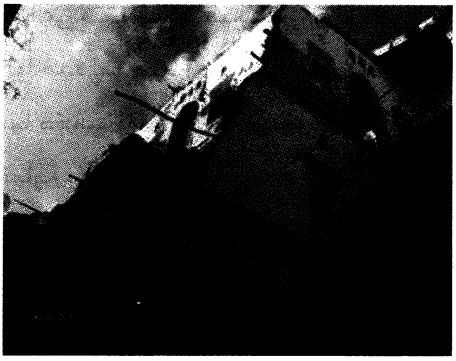

يعتبر توجه السكان القدامى للمدينة الاوروبية وضواحيها وتوافد ذلك الكم الكبير من العائلات النازحة من الأرياف والمدن المجاورة إلى القصبة، والتي كانت هي كذلك ضحية لظروفها الاجتماعية والاقتصادية، من أهم العوامل التي أدت الى تدهور نسيج القصبة العمراني، هذا لأن غياب ملاك المنازل الذين كانوا يلقنون بدورهم كل وافد جديد طريقة استعمال مختلف أجزاء المنزل وكذا فن التعامل والحفاظ على "الدويرات"، ساهم في غياب تلك الممارسات الثقافية والمدنية المميزة لسكان القصبة، هذا لأن سكانها الجدد لا يعرفون أدنى شيء عن القصبة سوى أنها حي شعبي يوفر لهم الاقامة والعمل بإيجار زهيد يعتبر توجه السكان القدامى للمدينة الاوروبية وضواحيها وتوافد ذلك الكم الكبير من العائلات النازحة من الأرياف والمدن المجاورة إلى القصبة، والتي كانت هي كذلك ضحية لظروفها الاجتماعية والاقتصادية، من أهم العوامل التي أدت الى تدهور نسيج القصبة العمراني، هذا لأن غياب ملاك المنازل الذين كانوا يلقنون بدورهم كل وافد جديد طريقة استعمال مختلف أجزاء المنزل وكذا فن التعامل والحفاظ على "الدويرات"، ساهم في غياب تلك الممارسات الثقافية والمدنية المميزة لسكان القصبة، هذا لأن سكانها الجدد لا يعرفون أدنى شيء عن القصبة سوى أنها حي شعبي يوفر لهم الاقامة والعمل بإيجار زهيد.

وكذا الحصول على سكن اجتماعي مستقبلا، فغابت روح التكافل والتعاون بين الجيران والساكنين" بالدويرة "الواحدة لعدم تعارفهم واختلاف ثقافاتهم ومرجعياتهم الهوياتية والتي لطالما على أساسها كانت تقسم وتنظم وظائف العائلات بالتناوب للحافظ على نظافة المساكن وحماية مرافقها، فحلت محلها النزاعات وعمت الفوضى والأوساخ وتحول هذا الأخير من مركز إشعاع حضري وآلية لبناء الهوية الحضرية إلى مركز عبور تقصده فئات نازحة ومهمشة.

ومازاد الطين بلة هو إهمال السلطات العمومية لها، فكانت الدراسات المقامة لغرض حماية وترميم التراث أكثر من التدخلات في حد ذاتها .كما اعتبرت هاته التدخلات محدودة لأنها مست المنازل التي تقع في الجزء العلوي للقصبة لأنها تعتبر محط جذب للزوار والسياح الأجانب مما خلق تمييز وتمايز اجتماعي بين أحيائها زاد في توسيع الهوة بينها وبين قلب القصبة الذي يشهد تهميشا وانهيارا شبه كلي وبين أعاليها التي يتكفل بترميمها وبتظيفها وتبييضها حتى بدون طلب من أصحابها، ضف إلى ذلك أزمة السكن الخانقة التي مست الجزائر العاصمة والتي ألقت بظلالها على القصبة، وأصبحت سطوحها أراضيات للبناء وانتشر القصدير وتحول منظر خليج الجزائر عبرها إلى بانوراما قصدير ناهيك عن انتشار القاذورات والأردام، أين أضحت تسمية القصبة مرادفا إلى كل أنواع الانحرافات والفقر والبطالة واللاأمن، ومن هنا يمكن أن نستشف أن القصبة هي ضحية ظروف طبيعية وسياسية واجتماعية ،ولحل معضلتها توجب تكافل كل الجهود ومن مختلف الجهات لإنقاذ ما يمكن انقاذه من تراثها المادي والمعنوي، وباعتبار أن لكل تراث معنوي وعاء مادي يحتويه فتراث القصبة المعنوي هي تلك الممارسات

الاجتماعية والثقافية والمدينية التي بنت وشحذت الهوية الحضرية لافرادها ،والتراث المادي لها هو نسيجها العمراني والحضري الذي احتوى على مساكن وقصور ودويرات آية في الاعجاز المعماري الاسلامي بكل قيمه ومعتقداته، فزوال هذا النسيج واندثاره هو زوال واندثار لهوية مجتمع حضري

ومديني، لهذا أردت تسليط الضوء في هاته الوريقات على تأثير تدهور النسيج العمراني للقصبة في اندثار الكثير الممارسات الثقافية والمدنية المكونة للهوية والحضرية لسكانها، واعتمادا على نتائج دراسة ميدانية كنت قد قمت بها بالقصبة ودعما لذلك قمت بتصميم الجداول الآتية :

جدول 1 : العلاقة بين حالة المنزل وكيفية الاحتفال بالمناسبات

كيفية الاحتفال بالمناسبات / حالة المنزل	تقليدي (صباحي)	عصري	إسلامي	مختلط(التقليدي والعصري)	جهوي	المجموع
جيدة	14 ،51 ٪85	1 ،3 ٪70	2 ،7٪ 40	10 ،37 ٪03		27 ٪100
متوسطة	14 ٪56	2 ٪08	2 ٪08	7 ٪28		25 ٪100
سيئة	7 ،14 ٪28	8 ،16 ٪32	2 ،4 02	18 ،36 ٪73	14 ،28٪ 57	49 ٪100
المجموع	35 ،34 65	11 ،10٪ 89	6 ،5٪ 94	35 ،34 ٪65	14 ،13٪ 86	101 100٪

نلاحظ من خلال نتائج هذا الجدول أن اغلب الذين لازالوا محافظين على اتباع العادات والتقاليد العاصمية "القصباجية" في اقامة افراحهم واحتفالاتهم ،كانوا من الذين يعيشون في منازل هي بحالة جيدة ومتوسطة.

جدول 2 : حالة المنزل وكيفية استهلاك مساحته من طرف السكان

كيفية استعمال مجال المنزل / حالة المنزل	حسب الاحتياجات الخاصة لساكنيه (بشكل عشوائي)	حسب هندسته المعمارية	المجموع
جيدة	18 ٪66 ،66	9 ٪33 ،33	27 ٪100
متوسطة	16 ٪64	9 ٪36	25 ٪100
سيئة	40 ٪63 ،81	9 ٪36 ،18	49 ٪100
المجموع	٪26 ،73	27 ٪73 ،26	٪100

نلاحظ بشكل عام أن أغلبية سكان القصبة تستهلك مساحة بيتها بشكل عشوائي يتماشى وتلبية حاجياتها اليومية، خصوصا لدى الفئة التي بيوتها في حالة سيئة.

جدول 3: حالة المنزل وممارسة أي حرفة تقليدية:

جيدة	12 44، 44٪	15 55، 55٪	27 100٪
متوسطة	12 48٪	13 52٪	25 100٪
سيئة	16 32، 65٪	33 67، 34٪	49 100٪
المجموع	40 39، 60٪	61 60، 39٪	101 100٪

يبين لنا الجدول أن اغلب سكان القصبة تخلوا عن ممارسة الحرف التقليدية خصوصا لدى الفئة التي منازلهم في حالة سيئة.

ملاحظة : الجداول من تصميم الباحثة

نستنتج من خلال نتائج الجداول وكذا استطلاعاتنا الميدانية المذكورة أعلاه أن :

- أغلب سكان القصبة الذين لايزالون يحتفلون بمناسباتهم بشكل تقليدي ومختلط بين العصري والتقليدي هم من الذين حالة منازلهم جيدة ومتوسطة.
- معظم سكان القصبة يستهلكون مساحة منازلهم أو دويراتهم وفق استخداماتهم اليومية، ولو اضطروا إلى إضافة ملحقات جديدة خارج إطارها

الهندسي الأصلي، مما ساهم في تشويه منازلها وكذا في القضاء على ثقافة استهلاك مجال القصبة.

- معظم الحرف التقليدية التي عرفت بها القصبة لم تعد تمارس خصوصا لدى الفئة التي سكناتها بحالة متدهورة.
- أغلب المنازل والدويرات هي في حالة متدهورة ومزرية ، إذ أن نسبة الإهتراء تزداد بشكل كبير لدى الفئة المستأجرة وكذا لدى الذين يقيمون بها بشكل غير شرعي.
- تعرف القصبة تمايز وتمييز اجتماعي بين أحيائها ،فقلب القصبة والأحياء الواقعة في وسطها في حالة مزرية، ومهمشة على جميع المستويات ،أما واجهتها أو الأحياء التي تقع في أعالي القصبة "باب الجديد" وغيرها وجدناها في حالة جيدة وتحضى باهتمام كبير من طرف السلطات المحلية من خلال عملية ترميمها وتنظيفها، وهذا لتردد السياح والزوار عليها.

وعليه فإن المتأمل في مؤشرات الجداول يتساءل عن مدى العلاقة بين حالة المنزل الفيزيقية وتأثيرها على الممارسات الاجتماعية والثقافية لسكان القصبة ،كاحتفالاتهم بأعراسهم ومناسباتهم وواقع الحرف التقليدية وكيفية استهلاكهم لمساحة منازلهم وغيرها ... ، ولذلك وجب علي التوضيح، أن كل هاته المشاكل التي يعاني منها نسيج القصبة العمراني رمت بظلالها وأثرت بشكل سلبي على استمرارية الممارسات الحضرية والثقافية المميزة لسكان القصبة، هذا لأن بيوتها ونسيجها العمراني هي التي حوت مثل هاته الممارسات وأكسبت ساكنيها هوية حضرية ،كما أن هاته البيوت هي الوعاء الذي ضم هاته الفنون والثقافة بجل مظاهرها الحضرية والمدنية، فإن اندثرت وطمست هاته الأخيرة، فإن مثل هاته الممارسات حتما سوف تلقى المصير نفسه وتطمس، ولأن بيوت القصبة ليست بيوتا عادية كباقي البيوت، بل إن هندستها وتصميمها المعماري مميز جدا واجتماعي لحد كبير، إذ صمم خصيصا لاحتواء طبقة معينة من السكان التي لها عاداتها وتقاليدها وقيمها وثقافتها الخاصة في استهلاك مجال بيوتها لان كل ركن من أركانها له وظيفته الخاصة،

واستهلاك مميز ينتج عنه ممارسة اجتماعية خاصة به، إذ لا يمكن لهاته الممارسات الثقافية والاجتماعية أن تعيش أو تنتج وهي فاقدة لمجالها الأصلي.

وهذا فعلا ما أثبتته نتائج الجداول التي صممت لاكتشاف هاته العلاقة، إذ أن أغلب الحرف التقليدية التي كانت مشهورة بها القصبة، كالنحاس والجلود والتطريز التقليدي وغيرها ...أغلبها اختفت من أزقة القصبة، كيف لا وهي لاتجد مساحة لاحتوائها وأصحابها لا يملكون المنازل السليمة لممارسة هاته النشاطات التقليدية في ظل بيوت هشة ومهترئة لم تعد تتحمل سكانها ،ناهيك عن ممارسة أي نشاط إضافي، وكيف لتلك الطبقة من السكان أن يحتفلوا بأفراحهم ومناسباتهم في جو تقليدي "قصباجي"والمجالات التي لطالما احتوتها منهارة "كوسط الدار"و"السطح"وغيرها، والتي استطاعت أن تضم أحبابهم وجيرانهم ورحبت بضيوفهم، وكيف للاستهلاك الحضري الراقي لبيوتها ان يبقى وقد رحل عنه ملقنوه واضحى وكرا لفئة نازحة محرومة لاتملك أدنى فكرة عن كيفية استعمال مجالاته ولما أصلا خصص كل مجال منه، فهم يتشاركون عائلات في منزل واحد كل واحد منهم يستغله حسب احتياجاته اليومية لا أكثر ولا أقل . وعليه أي نفسية تلك التي يمتلكها سكانها الحاليون لكي يبدعوا ويحافظوا على هاته الممارسات الاجتماعية والمدنية الراقية وسط بيوت مهترئة وأسقف عارية ،تسببت في هروب سكانها القدامى، وتخليهم عن تراث الأجداد، ناهيك عن هذا الجيل الجديد الوافد إليها والذي لا يعرف عنها سوى واقعها المرير وحياته البائسة بها.

الخاتمة

إن عرضنا لهاته الوريقات لم يكن سوى تذكير وإلقاء لضوء خفيف عما سبق التطرق إليه وتأكيده من طرف باحثين وعلماء كثر أمثال "ابن خلدون" والذي تطرق وبإسهاب في مقدمته الشهيرة عن تأثير العمران على طبائع البشر وحلل تلك العلاقة الجدلية بين العمران وثقافة الفرد، وبين طريقة الاستدلال على شخصية الفرد من خلال عمرانه فعلى حد تعبيره "طبائع العمران تتحدث عن

أحوال الماضيين من الأمم وعاداتهم وتقاليدهم" وعليه فإذا أردنا التعرف على أصول هويتنا وتاريخنا وحضارتنا ما علينا سوى التأمل فيما تركوا لنا اجدادنا من بصمات خالدة في مجال المعمار الإسلامي للمدن لنكتشف عبقريتهم في التصميم وهذا بشهادة مختلف الباحثين في المجال، من بينهم « SCHULZ » والذي عبر قائلا " العمارة الاسلامية حقيقة نكتشفها بزيارتنا لها، إذ نشعرها قبل أن نلتقي بأي انسا ن أو نرى أي علامة كتابية، نشعرها في كل مبنى وفي كل زخرفة وعلى مستوى المدينة ككل "وهذا ما جعله يطلق عليها "عمارة الوحدة«Architecture Unity » ، كما نستطيع من خلال كل ماسبق ذكره الجزم بأن النسيج العمراني لأي حاضرة هو نسيج لخيو ط تعاد من خلالها حياكة ذاكرة الأمم الحضرية والحضارية وتاريخ شعوب سبقتنا للمكان فعلى حد قول "**فونتوري**" ".. إن نظرتنا الى العمارة يجب أن تبدأ من الخلف ،من التاريخ والتقاليد حتى نسير بها إلى الأمام" وهذا لنعرف من خلالها أصولنا ونستطيع ان نبني هويتنا على أسس ومرجعيات ثابتة وأصيلة، فزواله واندثاره هو اندثارو قطيعة لحلقات تكوين هويتنا، والحفاظ عليهما هي مسؤولية كل جيل ورث وسيورث تراث الأجداد فيما بعد.

قائمة المراجع

1. أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر ،الجزء الأول ،2007
2. باشا محمد : إشكالية العمارة في الجزائر من أزمة إبداع إلى إبداع أزمة، كلية مسغانم بدون سنة
3. حمدان بن عثمان خوجة: المرآة ،تقديم وتعريب د.محمد العربي الزبيري،وزارة الثقافة ،2007
4. حليمي عبد القادر،أصول نشأة مدينة الجزائر، مجلة الأصالة ،الجزائر، العدد 8 سنة1972
5. الجيلالي عبد الرحمان : تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية ، مليانة ، ط 2
6. خلاصي علي:قصبة مدينة الجزائر،دار الحضارة ، الجزء الأول، ط1، 2007
7. عقاب محمد الطيب : قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني،دار الحكمة،2007
8. عبدالله سعدون سلمان المعموري: انسانية العمارة الاسلامية،الجامعة التكنولوجية،قسم الهندسة بدون سنة.
9. مبارك الميلي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث،دارالكتاب العربي،الجزء الأول ،2007
10. وداش ضاوية: القصبة بين الهوية الحضرية والواقع المعيش، أطروحة ماجستير في علم الاجتماع الحضري،2010
11. واقع ومستقبل المدن التاريخية في ظل التشريع الجزائري، منتدى التسيير والتقنيات الحضرية بأم البواقي http// :www.chemmami.com
12. زايد نادية، مقران سامية، القصبة، روح الماضي وريحان المستقبل ، 2006copyright
13. بلدية القصبة، الأمانة العامة،الجزائر.

14. BENATIA Farouk : Alger agrégat ou cité, l'intégration citadine à Alger, SNED 1980.

15. BENATIA Farouk : L'appropriation de l'espace, à Alger après 1962, SNED 1980.

16. CASTELLS Manuel : Le pouvoir de l'identité, édition Fayard, 1999, Paris 16

17. Centre national d'Etudes et des Recherches Appliquées en Urbanisme, PPSMVSS de la Casbah, Alger, 2007, 2009 , 2011 .

18. DRIS Nassima : Habiter le Patrimoine, Monde en Marge et Identité Urbaine, Presses Universitaires de Rennes, 2005, pp 93-104

19. ICHEBOUDENE Larbi : Alger histoire et capitale de destin national, édition casbah, Alger, 1997.

20. LASBET Djafaar : La Casbah d'Alger, gestion urbain et vide social, OPU, Alger, 1985, p 08.

21. LEDRUT Raymond : L'espace social de la ville, édition Antrops, Paris 1996.

22. LESBET Djafaar : Chronique de réhabilitation avortée, le cas de la Casbah in intégration de l'héritage, colloque du Tunis, ASM, Tunis 1994.

23. LUCIEN Golvin: Palais et Demeures d'Alger à la Période Ottomane, INAS, Alger, 2003.

24. LUSSAULT (M) et SIGNOLES (P) : la citadinité en question, Tours 1996.

25. NOCHIS Kaj : Signification Affective du quartier, librairie des méridiens, paris, 63.

26. MISSOUM Salima : Alger à l'époque Ottomane, la Médina et la Maison Traditionnelle, INAS, Alger, 2003.

27. PAGAN : la Médina de Constantine, de la Ville Traditionnelle au Centre de l'Agglomération THD «3éme cle »

28. PAUL Guion : La Casbah d'Alger : préface de chérif Rahmani, texte d'accompagnement de youcef nacib, et de Larbi Ichboudéne, paris 1999

29. Revue Algérienne n° spécial : De la Houma à la cité, une évolution historique de l'espace social Algérois par Ichboudéne Larbi:, 200

30. SAFAR ZITOUN (M) : Alger d'aujourd'hui, une ville à la Recherche de ces Marques Sociales, Revue Insaniyat, 2009.

الهوامش

1- Ichboudéne Larbi :*Alger histoire et capitale de destin national*, édition Casbah, Alger 1997 p58

2- الجيلالي عبد الرحمان : ***تاريخ المدن الثلاث***، الجزائر، المدية ،مليانة ط 2 الجزائر.

3- حليمي عبد القادر: ***أصول نشأة مدينة الجزائر***، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 8 ص ص 8-9 سنة 1972

4- PAGAND : *la Médina de Constantine, de la Ville Traditionnelle au Centre de l'Agglomération*, THD 3eme CL, P 61

5- Ichboudéne Larbi :*Alger histoire et capitale de destin national*, édition Casbah ,Alger 1997 pp 126-130.

6- Lesbet Djaffer : *la Casbah d'Alger, Gestion Urbaine et Vide Sociale*, OPU Alger 1985 p 08.

7- باشا محمد : ***إشكالية العمارة في الجزائر***،من أزمة إبداع إلى إبداع أزمة كلية العلوم الاجتماعية، مستغانم

8- Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme, Alger, *PPSMVSS de la Casbah d'Alger*, édition finale 2009

9- Lucien Golvin : *Palais et Demeures d'Alger à la Période Ottomane* INAS, Alger 2003

10- Missoum *Salima : Alger à l'époque Ottomane, la Médina et la Maison Traditionnelle*, INAS ، Alger 2003

11- :Zaid Nadia et Amokrane Samia : *la Casbah, Ame de passé et Eden de l'Avenir*, copyright textes ، 2006.

12-CNERAU : *PPSMVSS de la Casbah*, édition finale, Alger .Année 2007 -2011.